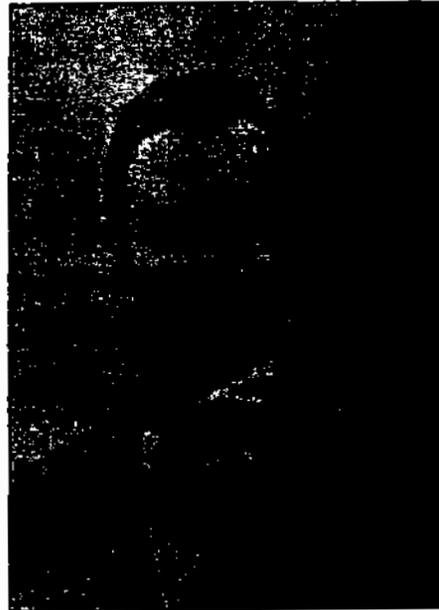


التاريخ في سير أبطاله

ابراهيم لنكولن

هجرة الأهرام الى عالم المدنية
للاستاذ محمود الخفيفيا شباب الوادي اخذوا معاني العظمة في نفوسنا
الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ...

- ٢١ -



بنظام البييد؛ وكانت تقع عين القادم إلى المدينة على البييد راغبين غادين؛ ولقد كان هذا منظرًا تنفر منه عيننا لنكولن وهو يطل على المدينة من الفندق... وكان ذوو النذور من أهلها بكرهون الجمهوريين ويسمونهم الجمهوريين السود... لذلك أحس إبراهيم أنه في جو غير جوه كالتبات نقل إلى حيث لا يجدي معه رى ولا ينفع غذاء

وجلس إبراهيم يفكر ويتدبر، فإذا امتد إلي الحاضر فكره رأى كيف تشيع الفتنة وكيف يستفحل الشر، وكيف يزول بناء الاتحاد حتى ليوشك أن ينهار... وإذا استشرفت للمستقبل نفسه رأى ظلمات فوقها ظلمات؛ فالجرب كما يسدوله واقعة لا محالة، ما لم يقع ما ليس في حسابنا أحد... وهي إذا شبت نازها واستمرت اكتوى بسيرها أبناء الوطن الواحد وأصحاب المصلحة الواحدة؛ إنها حرب سوف تكون بين نصفى شعب بقاؤه وسعادته لن يكونا إلا في اتحاد كلته والثام شمله...

وليت الفتنة اقتصرت على الناس ولم تمتد إلى الحكومة؛ إذا لكانت أهون على الرئيس وعلى الشعب... هاهي ذى تندس حتى تنغلغل في وحدات الجيش والبحرية والسادة المسؤولين من رجال الدولة؛ ولقد وقف بيوكانون حائرًا لا يدري ما يأخذ مما يدع حتى لم يعد في إمكانه أن يحسم الشر؛ فكان بذلك وجوده على رأس الحكومة يومئذ شرًا على شر

ولكن إبراهيم لم يكن بيوكانون؛ وحسبه عزمه المصمم الجبار في هذا الموقف الرهيب؛ هذا إلى إخلاصه وكرهته للمعدوان وبقينه الذي لا يداخله شك ولا يحوم حوله شيء مما ينسج الباطل من وهم وما يصور من ريبة

ولقد أشفق من لم يكونوا يعرفونه، بل لقد جزع بعض الناس أن تلتقى أزمة الحكم في مثل هذه الظروف في يدى رجل هو في زعمهم لم تحسن يده أن تقبض على شيء غير المول؛ وهجوا أن تترك الأمور للرجل القادم من الغرب... فذلك الحماي الذي كان من قبل يخطط الأرض ويوزع البريد؛ والذي نشأ بين الأحرار ونما كما ينمو وحشى النبات... وسخط أهداؤه ممن لا يجهلون مقدرته واشتد بهم النبط ألا يجلس في كرمى الرياضة يومئذ إلا هذا الجمهورى الأسود؛ هذا الذى يمد فى الجمهوريين

وأقام لنكولن فى الفندق ينتظر يوم الاحتفال؛ وإنه ليحس أنه كالغريب فى هذه المدينة المظلمة؛ ولقد كان كثير من أهلها يتوقمون قبل وصوله أن تصلهم الأنباء عن مقتله فى الطريق؛ فلما قوت على الماكين قسدم ودخل المدينة ولم تزل غافية أصاب للتوهمين به كمد وهم؛ ولكن هل قاتت الفرصة فلا سبيل لهم إليه بعدها؟ كلا فما يزال الكائدون يتربصون به حتى لقد سرت فى الناس إشاعة قوية أنه لن يحتفل بالرئيس الجديد؛ وأنه راجع إلى سيرنجفيلد قبل ذلك اليوم حياً أو ميتاً...

وكانت المدينة إلى أهل الجنوب أكثر ميلاً منها إلى أهل الشمال؛ وكان سادتها وكبرائها ممن يقتنون البييد ويتمسكون

كبيرهم الذي أهمهم ما يلوكونه من عبارات تؤذى الأسماع ونمزج القلوب وتقبض الصدور ...

أما الذين عرفوا لتكولن وعرفوا خلاله فما خالطهم شك أنه الرجل الذي ليس غيره في الرجال تكون على يده السلامة ويتم الخلاص .. والحق لقد خلقت الحوادث هذه الأزيمة وخلقت في الوقت نفسه الرجل الذي ينهض لها والذي لن يقوى على حمل أعبائها سواء .. ولو لم يكن في أمريكا في تلك الأيام ذلك الرجل الذي أخرجته أحراجها لتغير تاريخها باتخاذ وجهه غير التي سار فيها

وإنا نرى في ابراهام أحد الأفاضل الذين يبرهنون بأعمالهم على فساد الرأي القائل بأن الظروف هي التي تخلق المظالم؛ فهذا رجل نجم عن أبوين فقيرين ودرج بين أحراج الغابة وألفافها؛ فلما واجه الحياة وأخذ يعول نفسه راح يشق طريقه في زحمتها ومفاوزها كما كان يشق طريقه بين الأدغال، ولا عاصم له مما يحيط به من مخاوف إلا عزيمته وقوته

راح ابراهام يستقبل الحياة ويمشي في مناكبها، وكان الظروف كلها من عدوه؛ فما زال يغالظ الظروف وتغالبه، ويمررها وتمركه، حتى وصل إلى مراكز الرياسة في قومه، دون أن يستمد المون مرة من أحد؛ أو تكون له وسيلة من جابأومال؛ أو حظوة عند ذي قوة، أو تغير هذا وذاك مما يبتنى به الناس الوسائل إلى ما يطمحون إليه من غايات ...

ولما أن بلغ هذا المركز كانت البلاد كما أسلفنا تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر؛ فكانت الظروف يومئذ كاسوأ ما تكون الظروف؛ ولكنه على الرغم من ذلك سار إلى غايته غير خائف ولا وان ولا منصرف عن وجهته إلى وجهة غيرها حتى عقد له النصر وتم له أداء رسالته ...

وكيف لممرى تخلق الظروف المظالم؟ وكيف يسمى عظيما ذلك الذي تخدمه الظروف فلا يكون له من فضل إلا ما يجيء عن طريق المصادفة؟ ألا إن العظيم الحق إنما هو الذي تخصصه الظروف فينتجج على رغم ما تكبد له الظروف؛ وتتجهج له الأيام فيقدم على المظالم على الرغم من نجهم الأيام، وتعرضه الصعاب الشداد فلا تنني له عزمه أشد الصعاب. بذلك تكون الظروف هي

التي تخلق المظالم؛ فيكون الرجل الذي يظهر عليها ويظفر على الرغم منها هو العظيم، ويكون في ذلك كالدور تطهر النار جوهره لبث ابراهام في الفندق ينتظر حتى يتخلى له بيوكانون الشيخ عن قيادة السفينة؛ وكان ابراهام يستمع إلى دوي العاصفة يزداد يوماً بعد يوم فيتلفت فلا يرى حوله غير سيوارد؛ ولكن سيوارد وصاحبه لا يلبث أن يدب بينهما خلاف شديد؛ فلقد كبر على سيوارد ألا يشاوره ابراهام في الخطبة التي أوعدها ليوم الاحتفال وكان قد كتبها قبل أن يسافر من سبرنجفيلد ...

وعلم ابراهام بالأمر فألقى بالخطبة بين يدي صاحبه؛ فاقترح عليه أن يغير فيها أشياء وأن يضيف إليها أشياء، فلم ير ابراهام رأيه؛ على أنه قبل أن يضيف إلى الخطبة خاتمة كتبها سيوارد وتناولها ابراهام بالتفسير ليلائم أسلوبها مع أسلوب الخطبة؛ وظن ابراهام أنه أرضى بذلك صديقه ... ولكنه فوجئ في اليوم السابق ليوم الاحتفال بخطاب من عند صاحبه ينهيه فيه أنه يتحلل من وعده الذي سبق أن قطعه على نفسه بالاشتراك معه في المحر؛ وطوى ابراهام الخطاب متألماً مكتئباً ... ألا ما أشد عنت الأيام؛ حتى سيوارد الذي ليس غيره ترجى منه المونة تكون من جانبه المعقبات؟

وأشرقت شمس اليوم الرابع من مارس عام ١٨٦١، وكان يوماً من أيام الربيع طلق الحيا رخي النسائم ... تفرج الناس يشهدون موكب الرئيس الجديد؛ وكان موكب الاحتفال بتولية رئيس الولايات من أعظم ما تهتم به البلاد؛ وهو في هذه المرة أجل قدراً منه في كل ما سلف من الأيام؛ وذلك لما كان يحيط بتولية ابراهام من ممان تجيش بها نفوس الخصوم والأنصار

وقضى ابراهام صباح ذلك اليوم يقرأ خطبته من جديد ويهذبها بالحنف والإضافة، حتى متع النهار فجاء بيوكانون إلى الفندق في عربة فركب معه ابراهام، والناس على طول الطريق إلى بناء المحافظة (الكابيتول) تقع أعينهم على الرجلين، فهذا هو الرئيس القديم يشيح في رأسه الشيب ويدو على يده وعيابه المزال من أثر السنين ومن أثر ما حمل من عبء أو شك أن يلقبه وقد أربى على السنين ... وهذا هو الرئيس الجديد يبدو قوياً نتيماً وهو يومئذ في الثانية والخمسين؛ هذا هو الرجل القادم من

في غير استخذاء أو استسلام، وللتحذير في غير إثارة أو استفزاز،
واللرونة في غير رياء أو التواء، وللمدالة في غير مشادة أو عناد ..
كما كانت كالسلسل المذب فصاحة وسهولة؛ ناهيك بما امتازت
به من نصوص البرهان ومتانة الحججة واستقامة المنطق وجمال السبك
وبراعة السياق ودقة الالمام بالموضوع، وسعة الاطاعة بما كان
يشغل الأذهان

وكان الخطيب رنان الصوت، قوى الجرس، وثيق الاشارات
تشيع في كلفانه حرارة الايمان وقوة اليقين وصدق الاخلاص
فتنفذ إلى قلوب أنصاره وخصومه على السواء؛ وإن كان خصومه
ليكرهون فوزه ويتكرون مبادئه ...

قال يشير إلى مخاوف أهل الجنوب: « يظهر أن المخاوف
تنتشر في الولايات الجنوبية، ومبعضها أن قبولهم الحكم الجمهوري
من شأنه أن يعرض أملاكهم وسلامتهم وأمنهم على أشخاصهم
المخاطر. إنه لم يكن هناك سبب معقول لهذه المخاوف؛ بل لقد
قامت بينهم أقوى شهادة على نقيض ذلك، وكانت دائماً تحت سمعهم
وبصرهم... إنها تكاد توجد في كل خطبة من خطب ذلك الذي
يحدثكم الآن، وإلى لأتنبس من إحدى تلك الخطب حين أقول،
ليس لي من غرض مباشر أو غير مباشر في التدخل في نظام
المبيد في الولايات التي يقوم فيها ذلك النظام... وإنى أعتقد أنه
ليس من حق أن أفعل ذلك، وأن الدين رشحوني وانتخبوني
إنما فعلوا ذلك وهم على علم تام أني صرحت كثيراً بمثل هذا، ولم
أترشح مرة عما قلت »

ولم يقف الرئيس في اعتداله عند ذلك الحد، بل لقد ذهب إلى
التصريح بأن المبدأ القار إلى الولايات الحرة لا تمنح له الحرية .
ولقد أشفق كثير من أنصاره من هذا التصريح، ولكن لنكون
يستند في ذلك التصريح إلى مبادئ الحزب التي لا يمنع بمقتضاها
المبدأ حرته إلا إذا ذهب مع سيده غير قار إلى ولاية حرة
وأقام فيها

وتكلم لنكون عن انسحاب الولايات من الاتحاد فقال:
« لن يجوز للقانون لأية ولاية حق الانسحاب » ثم أردف قائلاً
إن القسم الذي أقسمه على المحافظة على الدستور يجعل لزاماً عليه
أن يقوم بواجبه فيعمل على أن يكون قانون الولايات المتحدة
نافذاً في جميع الولايات. واختتم الحديث في هذا الموضوع بقوله:
« إنى واثق أنكم لن تحملوا على التهديد كلاً، بل إنها كلمة

الترب؛ هذا هو إن الناية... هذا هو التجار تملأ الأعين قامت
الطويلة التي تلوح للأعين أكثر طولاً إلى جانب صاحبه الشيخ
الصنيل... وهو يرتدى اليوم حلة ما ارتدى مثلاً من قبل، حلة
ارتضاها له ماري وهياتها لتلك اليوم، ثم هو يقبض بيده الكبيرة
التي أ كسبها حمل الممول كبرها وخشونتها، على عصا جيلة أنيقة
وضاقت بالناس الطرقات؛ وكان رجال الشرطة قد أبدوا
الجموع قليلاً عن حافتي الشارع، وقد أمرهم كبيرهم ألا يسمحوا
بأى عبث بالنظام مهما خيل لهم أنه آفة. وكان كبير الشرطة
يخاف أن تمتد أيدي الآتين إلى الرئيس بالعدوان إذ كانت
الاشاعات قد اتخذت مجراها في كل سبيل، وملاً الحمس بها
الأذان، ووجفت من هول الجرعة قلوب الكثيرين من المخلصين
ووصل الرئيس إلى مكان الاحتفال، وهو مرتفع أعد لهذا
الغرض، وقد امتلأت الساحة المحيطة به بجموع من الناس
حتى ما تسمع بدمهم لقدم... وكان على مقربة من المكان تمثال
وشجيطون وقد نحت من الرمر الأبيض وهو يتلأل في ضوء
الشمس وتنبعث منه معاني البطولة والمظلة والحرية والفداء...
ووقف الرئيس الجديد بوجه الكلام للشعب جميعاً لأول مرة
وقف فتى الأحرار أمام هاتيك المجموع ثبت الجنان، مستوى
القامة، مرفوع الهامة، وأتى نظرة أمامه على علية القوم من الشيوخ
والأعيان ورجال الجيش ورجال الدين والقضاة وغيرهم وغيرهم ثم
مدت بصره في المجموع وقد سكنت ريمهم قهياً للكلام...
ولكن ماذا عمراء؟ لقد وقف يمك باحدى يديه عصاه وبالأخرى
قبضته، فكيف يمك الورق لينال منه خطبته؟ ها هو ذا يسند
المعاً إلى الحاجز الخشي أمامه فأين يضع القبعة؟ لقد أوشك
أن يقع في ورطة، وأوشك أن يثير ضحكات الخصوم بحيرته؛ ولكن
ها هو ذا رجل يثب من مكانه وكان يجلس منه في سمت بصره،
فياخذ القبعة من يده... ومن هو ذلك الرجل؟ إنه دو جلاس
خصمه القديم ومنافسه ذو البأس الشديد...

وكان دعاة الانسحاب من أنصار الجنوب يأملون أن يهدد
لنكون الولايات الجنوبية ويتوعد، فيشتد بذلك الهياج في تلك
الولايات ويتمذر بعدها أن يمنح هؤلاء السلم، ولكن لنكون
خيب ظنونهم وزادهم بحكته وحصافته وبعد نظره ويقظته غمراً
على غم...

كانت خطبته خير مثال للاعتدال في غير تفريط، وللتواضع

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

تطبيقات

فرغنا في مقالتنا السابقة من ذكر مؤاخذاتنا على جماعة وزارة المعارف فيما رأته من تيسير قواعد الاعراب ، وكان سيلنا في هذا المجال لسبيل غيرنا في مؤاخذاته عليها ، لأننا نتفق معها في غاية من الاسلح ، فهمنا من عملها لتبني أهم منه ، وأبطلنا من رأيها لنصل في الرأي إلى ما لا يمكن هدمه ، فنملو به كلمة الاسلح ، وينصر ما تريده من التجديد النافع . وقد بلغني عن صديق لي أن عضواً بارزاً من هذه الجماعة ذكر له أنه معجب بما كتبناه في ردنا عليهم ، فلا أدري ما يمنه من ذكر رأيه فيما كتبناه من ذلك على صفحات مجلة الرسالة الغراء ، ليتبين الحق في هذا الموضوع ونصل إلى ما تريده وزارة المعارف من الاسلح في قواعد الاعراب

وإني أريد الآن أن أذكر تطبيقات على ما ذهبت إليه في إصلاح هذه القواعد ، ليتبين أن ما ذهبت إليه من هذا مذهب مطرد ، ورأي لا شذوذ فيه ولا اضطراب

التطبيق الأول

ألا إن قلبى لدى الطاعنين حزينٌ فنن فا يُبزمى الحزينا
— (ألا) أداة استفتاح مجزومة بالسكون (إن) حرف توكيد منصوبة بالفتحة (قلبي) مبتدأ منصوب بفتحة مقدرة قبل ياء المتكلم ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره (لدى) ظرف مكان منصوب بفتحة مقدرة على آخره ، وهو متعلق بحزينا مقدم عليه ، ولدى مضاف والطاعنين مضاف إليه مجرور بإياء نيابة عن الكسرة (حزينا) خبر المبتدأ مرفوع بالضممة (فنن فا) الفاء للتفريع منصوبة بالفتحة ، ومن اسم استفهام مبتدأ مرفوع بضممة مقدرة في آخره

الاتحاد يملن أنه سوف يحمى ويدعم بناءه على أساس من الدستور . وهو إذ يفعل ذلك لا يرى نمة حاجة إلى سفك الدماء والمنف ، وسوف لا يكون شيء من هذا إلا إذا أجبرت عليه السلطة القومية وأشار إلى الوحدة من الناحية للمضوية فقال إن نصف الشعب لا يستطيع أن يقوم بغير النصف الآخر ، وإذا كان في الدستور عيب فن الممكن لإصلاحه على يد مؤتمر يجتمع فيه ممثلو الشعب . فإذا رأى الشعب الانفصال حقاً لكل ولاية فله رأيه ليفعل كما يرى ، أما هو فليس لديه من قوة إلا ما منحه الشعب وتكلم عن الساعين إلى الثورة فقال إنه لا مبرر للثورة إلا إذا لجأت الأغلبية إلى الطغيان ؛ ومثل هذا المبرر لا وجود له ، وإن الانسحاب معناه الفوضى ولا نتيجة للفوضى إلا الاستبداد ... واختتم لنكون خطبته بتلك العبارة التي اقترحها سيوارد وتناولها هو بالتعديل قال : « لسنا أعداء بل نحن أصدقاء ؛ ويجب ألا نكون أعداء . ومع أن النضب قد جذب حبال مودتنا فيجب ألا يقطعها ؛ وإن الأناشيد الخفية التي ترن في التناكرة منبثة من كل ميدان من ميادين القتال ومن كل قبر من قبور الوطنيين ، إلى كل قلب حى وإلى جانب كل موقد في هذه البلاد المريضة لتزيد في جوقه الاتحاد ، إذا ما مسها من جديد كما نتق أنها ستمس — وحى من طبيعتنا

وأقسم إبراهيم الجبين ويمتله على الانجيل . وتولى صينة القسم للقاضي تين صاحب قضية دروسكوت الشهيرة وكان يومئذ القاضي الأعلى للبلاد . وبعد أن أدى إبراهيم الجبين أن يحترم الدستور ويحافظ على قوانين البلاد سار إلى البيت الأبيض ، وكان أول عمل له بعد وصوله أن تناول القلم فكتب إلى سيوارد الخطاب الآتي :

« سيدي العزيز : تسلمت رقتك المؤرخة ٢ الجاري التي تسألني فيها أن أقبل انسحابك من الاشتراك معي في إدارة الحكم ؛ ولقد كانت رقتك هذه سبباً لأعظم قلق عندي إيلا ما ، وإني لأشعر أن مضطر إلى أن أرجوك أن تلني هذا الانسحاب . إن الصالح العام ليدعوك أن تفعل هنا ، وإن شعوري الشخصي ليتجه في شدة في نفس الاتجاه . أرجو أن تدبر وأن يصلني رد منك في الساعة التاسعة من صباح الغد ... خادمك المطيع ... »

تضيف

« ينبع »